

ومتصرين لا تخافون ، فاعلم ما لم تعلموا فجعل من
دون ذلك فتحا قريبا « 27 .

فهذه خمس مرات من استعمال القرآن للرؤيا
للأنبياء . والمرتان الأخيران في رؤيا العزيز ، وقصدت
صدقت . وفي آيتها عبر عنها القرآن على لسان الملك
بالرؤيا لوضوحها في منامه وجلالها وصدق الهامها ،
وان بدت للملأ من تومه هواجس أو هام واضغاث
أحلام .

« وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن
سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات
يا أيها الملأ أفئتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون.
قالوا اضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين»
سورة يوسف 43 — 44 .

وتمضي القصة في سياقتها القرآني ، فاذا هي
رؤيا صادقة وليست كما بدت للملأ من توم الملك
اضغاث أحلام .

✱

آنس وأبصر :

في المعاجم : آنس الشيء أبصره ، والصوت
سعه ، واستانس استاذن .

فهل نقول في « آنس نارا » أبصرها ، أو نظرها ،
أو اشبه ذلك من الالفاظ التي يحتمل ان تتعاقب على
هذا المعنى ؟

نستقرئ استعمال القرآني فيعطينا حس
العربية المرهف لا تقول : آنست في الشيء تبصره أو
تسمعه دون ان يؤنس .

فاذا قال العربي : آنست ، فقد رأى أو سمع
ما يؤنسه . والقرآن قد استعمل الفعل «آنس» خمس
مرات ، منها أربع في النار التي رآها موسى
عليه السلام حين سار بأهله في البرية فانس إليها .
وهذه آياتها :

طسه 10 :

« اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا اني آنست
نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار
هدى » .

النبل 7 :

« اذ قال موسى لأهله اني آنست نارا سأتيكم
منها بخبر أو آتيكم بشهاب تبس لعلكم
تصطلون » .

القصص 29 :

« فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله آنس من
جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا اني آنست
نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جدوة من النار
لعلكم تصطلون » .

والمرة الخامسة في آية النساء :

« وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فآنس
آنستم منهم رشدا فادعوا اليهم أموالهم » .

ليس الایناس هنا مجرد ابصار لظواهر الرشد
المادية الحسية، ولكنه الطمانينة المؤنسة ، بعد الإبتلاء
والامتحان ، الى أنهم قد رشدوا حقا .

وجاءت من المادة في القرآن صيغة الفعل المضارع
من الاستئناس في آية النور :

« يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم
حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » 27 .

والاستئناس فيها ليس مجرد استئذان ، وانما
هو حس الایناس لأهل البيت ممن يدخل عليهم . ولا
يسوغ في ذوق العربية أن يقال مثلا : استأنسس
الشرطي . أو جابي الضرائب أو الدائن ، وانما هو
الاستئذان ليس فيه حس ایناس .

كما لا يسوغ استعمال « آنس » في رؤية عدو ،
أو سماع هزيم رعد أو زئير وحش .

✱

الآنس والآنسان (1) :

وحس الآنس نقيض الوحشة ، هو الملحظ العام
المشترك في الدلالة لكل صيغ المادة .

ومنها الآنس والآنسان :

يلتقيان في الملحظ العام لدلالة مادتهما المشتركة
« ان س » على نقيض التوحش .

(1) تقدمت الاستقراء الكامل لاياتها في كتابي « مقال في الإنسان » « دراسة قرآنية » المعارف 1969 .

لكنهما لا يترادفان ، بل ينفرد لفظ الانسان بلحظ خاص من الدلالة يميزه عن الآخر .

لفظ الانس يأتي في القرآن دائما مع الجن على وجه التقابل يطرد ذلك في كل الآيات التي ورد فيها اللفظ تسيما للجن ، وعددها ثمانى عشرة آية .

ولحظ الانسية فيه ، بما تعنى من تقييـض التوحش ، هو المفهوم صراحة من مقابلته بالجن في دلالتها أصلا على الخفاء الذي هو من ظواهر التوحش .

وبهذه الانسية يتميز جنسنا من اجناس اخرى خفية مجهولة غير مالوفة لنا ، ولا هي تخضع لنواميس حياتنا .

وأما الانسان فليس مناط انسانيته فيها نستقريه من آيات البيان المعجز ، انه انس محسب ، وانما الانسانية فيه ارتقاء الى الدرجة التي تؤهله لاحتمال تبعات التكليف وامانة الانسان ، وما يلابس ذلك من تمرض للابتلاء بالخير والشر (1) .

وقد ورد لفظ « الانسان » في القرآن الكريم : في خمسة وستين موضعا نتدبر سياقاتها جـيـمـا تهدينا الى الدلالة المميزة للانسانية .

هو في جنسه العام انس :

« خلق الانسان من صلصال كالفخار . وخلق الجن من مارج من نار » آية 14 سورة الرحمن .

« ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون . والجان خلقناه من قبل من نار السموم » .

آية 24 سورة الحجر .

لكنه مع انسيته يختص بالقراءة والعلم (الملق) والبيان (الرحمن) والكسب والتكليف (الانسان ، النجم 39 ، القيامة 14 ، الاسراء 17) . والجندل (الكهف 54) .

ويحتل الوصية (لقمان 14 ، العنكبوت 8) .

وهيوم المكابدة وانتحام العقبة (البلد 4) .

ويحمل الامانة التي أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفتن منها (الاحزاب 72) .

وهو الذي يتعرض لتجربة الابتلاء ومحنة الغواية الفرقان 29 ، ق 16 ، الحشر 16 ، الانسان 2 ، 4 ، العنكبوت 15) .

ويزدهيه الغرور فيطفي ويستكبر ، ويفضله وهم الاستغناء من خالقه (الملق 6) وما أكثر ما يذكر القرآن الانسان بضعفه وهو انه كبحا لجماح غروره تبيلا يتجاوز قدره فيطفي ! وهو مظنة أن يتمادى به الطفيلان والغرور الى حد الكفر بخالقه والوقوف منه سبحانه موقف خصيم مبین (النحل 4 ، مريم 67 : الانفطار 6 ، فصلت 49 ، الزخرف 15 ، عبس 17 ، العاديات 6) .

*

النعمة والنعيم :

وكذلك يلتقي لفظا « النعمة والنعيم » في الدلالة العامة لمادتهما الواحدة المشتركة ، ثم ينفرد كل منهما في البيان القرآني بلحظ خاص يميزه عن الآخر فلا يترادفان .

والمعاجم اللغوية لا تكاد تفرق بين الصيغتين ، والمسرون يؤولون النعيم بكل ما تحتله الدلالة المعجبية للمادة .

ونستقريه الصيغتين في القرآن كله ، فنراه يفرق بينهما تفرقة واضحة :

كل نعمة في القرآن انما هي لنعم الدنيا على اختلاف انواعها . يطرد ذلك ولا يتخلف في مواضع استعمالها ، مفردا وجمعا ، في القرآن وعددها ثلاثة وخمسون موضعا .

أما صيغة النعيم فتختص بنعيم الآخرة . يطرد ذلك أيضا ولا يتخلف في مواضع استعمال القرآن لها وعددها ستة عشر موضعا .

منها خمسة عشر موضعا لا يحتل صريح سياقاتها أي تأويل :

التوبة 29 :

« وجنات لهم فيها نعيم مقيم » .

(1) انظر تفصيل ذلك الاستقراء في الجزء الثاني من كتابي (التفسير البياني) .

الطور 17 :

« ثم لتسالن يومئذ عن النعيم »

« ان المتقين في جنات ونعيم » .

ولا نستطيع امام اطراد تخصيص القرآن صيغة النعيم لنعيم الآخرة ، ان نفسرها بما حشدت كتب التفسير فيها من نعم الدنيا التي لا تأتي في القرآن الا بصيغة نعمة او نعماء .

الواقعة 89 :

« فأما ان كان من المقربين . فمروح وريحان وجنة نعيم »

وسر البيان فيها ان الذين الهام الكاثر في اعراض الدنيا عن التزود لآخراهم سيسألون يوم يرون الجحيم عين اليقين ، عن النعيم الحق ما هو . وعندئذ يعلمون علم اليقين حقيقة النعيم الذي اضاعوه والهام عنه التكاليف على نعم الدنيا الفانية واعراضها الزائلة (1)

المعارج 38 :

« ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم »

المطففون 22 :

« ان الأبرار لفي نعيم . على الأرائك ينظرون . تعرف في وجوههم نظرة النعيم » .

النسأى والبعد :

يأتي بهما جمهرة اللغويين والمفسرين ، تاويلا لاحدهما بالآخر ، دون اشارة الى فرق بينهما .

الانسان 20 :

« وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا »

وفرق بينهما من انكروا الترادف . ونستقرىء مواضع الاستعمال القرآني للنسأى والبعد فلا يترادفان :

« واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا »

المائدة 65 :

« ولادخلناهم جنات النعيم »

فليس في القرآن نأى ، الا بمعنى الاغراض والصد والاشاحة ، بصريح النص والسياق في آيات .

الاسراء 83 :

يونس 9 :

« تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم » .

« واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه »

الانعام 26 :

الحجج 56 :

« الملك يومئذ لله ، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم » معها آيتا : الصافات 43 ، الواقعة 12 .

« حتى اذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين ، وهم يهتدون عنه ويناثون عنه وان يهاكون الا انفسهم وما يشعرون »

لقمان 8 :

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم » .

اما « البعد » فياتي في القرآن على الحقيقة او المجاز ، في البعد المكاني او الزماني . المادي منهما والمعنوي ، كما هو واضح في آيات :

القلم 34 :

التوبة 42 :

« لو كان مرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعموك ولكن بعدت عليهم الشقة »

« ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم »

الشمراء 85 :

« واجعلني من ورثة جنة النعيم » .

سبا 19 :

« فقالوا ربنا بعد بين اسفارنا »

وتبقى آية التكاثر :

(1) اوضحت ذلك بمزيد تفصيل في تفسير سورة التكاثر بالجزء الاول من (التفسير البياني للقرآن الكريم) .